الكتابات الاثرية العباسية

في فلسطين

Inscriptions Abbassides.

الرقيم العباسي الثالث

نشرت في المجلد ٦ صفحة ١٦١ من هذه المجلة الزاهرة نسختا رقيمين عباسيين يريان في قبة الصخرة ببيت المقدس وكنت اظن ان ليس في فلسطين غيرهما حتى وقعت على ثالث لهما حققه المستشرق الافرنسي كارمون غانو الذي كان ممثلا للدولة الافرنسية في بيت المقدس وقد وجد هذا الرقيم في أطلال مسجد عسقلان (١) سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣م وأهديت نسخة منه اخذت على قالب من الجص الى المستشرق المذكور ، اهداها اليه متصرف بيت المقدس الذي كان تابعا للحكم العثماني اذ ذاك وقد زينت هذه الكتابة في حجر من المرمر المسنون قياسه ٠م٤٧ في ٤٥ سنتيمترا ضمن إطار جميل منمق بالاغصان والاوراق .

ولا ادري الى اين انتهى امر هذا الرقيم القديم الذي نقش لبناء مئذنة ومسجد ربما كانا من اقدم المآذن والمساجد التي بنيت في فلسطين بعد المسجد الاقصى

(١) عسقلان مدينة قديمة كانت موطىء اقدام الغزاة والفاتحين منذ فجر التاريخ ، وقد جاء ذكرها في الرقم المصرية وفي التوراة لانها كانت في طريق مصر الى الشام وعلى مقربة من حدودها وقد ظلت على مناعتها وحصانتها الى الحروب الصليبية فهدمت سنة ٥٨٧هـ ١١٩١م ولا تزال على انهدامها . وترى انقاضها ركاما على شاطىء بحر الروم ويظهر فيها بين حين وآخر من الاثار والعاديات ما يثبت عراقتها في القدم والمدنية . وبجوارها اليوم قرية صغيرة تعرف (بالجورة) وهي من عمل مجدل عسقلان التابعة لغزة والاثر الخالد في عسقلان هو المشهد الحسيني الذي يزعم ان رأس سيدنا الحسين بن علي كان دفينا فيه فنقله الفاطميون في اوائل الحروب الصليبية الى القاهرة ودفن في المشهد المعروف الان فيها وذلك سنة ٥٤٨هـ ١١٥٣م ومن الاثار القيمة التي نقلت من عسقلان خشبة الصليبيين عليها منبر فاطمي كان في المشهد المذكور نقله السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى مسجد ابراهيم عليه السلام في حبرون « خليل الرحمن » مكتوب بالخطوط الكوفية المشجرة وهو من آيات الابداع ومبدعات الصناعة .

وقد ورد ذكر عسقلان في كتاب معجم البلدان والمشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت وقال انه كان يقال لها عروس الشام كما كان يقال لدمشق .

وقبة الصخرة والجامع الابيض في الرملة . (١)

المهدي وخلافته

المهدي هو محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ثالث الخلفاء العباسيين وقد ولي الخلافة سنة ١٥٨ هـ (٧٧٥ م) فكان من الغرابة بمكان ان يرد اسمه في الرقيم مقرونا بامارة المؤمنين سنة ١٥٥ هـ (٧٧٢ م) اي قبل ثلاث سنين من توليه الخلافة .

ولسوء الحظ ان كلرمون غانو لم ينقل لنا صورة الرقيم الذي كان طبعا بالحروف الكوفية لنستطلعه ونتبين منه وجه الصواب في التاريخ المذكور ولم نجد له ذكرا في الجزء الاول من كتاب فان برشم السويسري الذي جمع فيه الرقيم الفلسطينية المتعلقة بالامويين والعباسيين والفاطميين وبعضا من رقم الايوبيين مما نستدل معه على ان هذا الرقيم لم يصل المتحفة العثمانية لانه لو كان فيها لكان نقل صورته فان برشم في مجموعته الافرنسية المتقدم ذكرها .

فاذا لم يكن هذا من غلط الراقم حين نقرأ الرقيم فيجب علينا ان نقبل ان اولياء العهد كانوا ينعتون بلقب امارة المؤمنين قبل ان يرقوا سنامها ويتبوأوا مقعدها . او ان المنصور الذي انتزع ولاية العهد من ابن اخيه عيسى بن موسى وجعلها في المهدي هو الذي امر بذلك ليرسخ في الاذهان ان الخلافة بعده لابنه المهدي . وهذا الرأي الاخير قد ارتآه كلرمون غانو وارتضاه .

وكان المهدي ولوعا بالعمارة فقد وسع البيت الحرام بمكة مرة بعد اخرى واشترى ما حوله من الدور فأضافها اليه حتى بلغ ثمن الذراع الواحدة يكسر مثلها وهي ما نسميها اليوم بالذراع المربعة خمسة عشر دينارا . وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى ساحل مكة المعروف (بالشعيبة) بالقرب من جدة (٢) ثم نقلت تلك الاساطين من الساحل على العجل .

(١) تقدم الكلام عن بناء المسجد الاقصى وقبة الصخرة في مبحث الرقيمين العباسيين المنشورين في الصفحة ١٦٥ من هذا المجلد وانه كان في سنة ٧٢ هـ ٦٩١ م اما الجامع الابيض فقد بناه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ ٧١٦ م .

(٢) الشعيبة كانت ميناء مكة في الجاهلية . ومرساها قريب بخلاف ثغر جدة فان مرساه الذي تقف فيه السفن بعيد من البر .

وزخرف سقوف المسجد بالخشب المنقش بالالوان وكانت في غاية الصفاء والرونق . وعبد الطريق الى مكة المكرمة . وغير ذلك من العمائر الكثيرة التي انفق عليها اموالا عظيمة .

وقد توفي المهدي في اواخر المحرم من سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥ م .

مسجد عسقلان

لم يذكر المؤرخون لنا عمارة المهدي لمسجد عسقلان وقد كان ذلك لايهمهم بمقدار ما تهمهم حادثة قتل او قتال كأن التاريخ عندهم تدوين ملاحم وتخليد جرائم .

شهادة المهدي للامويين

لما قدم المهدي دمشق ودخل مسجدها ومعه ابو عبيد الله معاوية بن يسار الاشعري كاتبه (١) قال : يا ابا عبيدالله صدقنا بنو امية بثلاث: بهذا البيت ، لا اعلم على الارض مثله ، وبسور الوالي ، وبعمر بن عبدالعزيز ، لا يكون والله فينا مثله ابدا .

فلما اتى بيت المقدس ودخل قبة الصخرة ، قال : يا ابا عبيد الله ، وهذه رابعة ، وكانت زيارة المهدي بيت المقدس سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ م) وعندها امر برم ما اخربته الزلازل من عمارة ابيه المنصور في المسجد الاقصى ونقص من طول المسجد وزاد في عرضه .

نسخة الرقيم

وهذا نص الرقيم نقلا عن صورته التي نقلها بالحروف العادية كلرمون غانو في مجموعته مقتطف الآثار الشرقية « المجلد ١ ص ٢١٤ » Recueil d'archéologie Orientale.

١ — بسم الله الرحمن الرحيم

(١) كان معاوية بن يسار كاتب المهدي ونائبه قبل ان يلي الخلافة فلما وليها استوزره ، وفوض اليه تدبير المملكة ،فاحسن التدبير الى ان وشى بابنه الربيع بن يونس وزير المنصور الذي كان في ركابه يوم قضى نحبه في الحج ، فأخذ البيعة للمهدي بمكة المكرمة ، فأمر المهدي بقتل ابن معاوية وأبقى والده في الوزارة ، ثم قال بعد ذلك للربيع : اني استحيي من ابي عبيد الله بسبب قتل ولده فاحجبه عني فحجب عنه وانقطع بداره واضمحل امره ومات في سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) . اما الربيع فقد قتل في تلك السنة ايضا .

٢ ــ لا اله إلا الله وحده لا شريك له
٣ ــ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤ ــ امر بانشاء هذه المئذنة والمسجد
٥ ــ المهدي امير المؤمنين حفظه
٦ ــ الله واعظم اجره واحسن
٧ ــ جزاه على يدي الفضل بن سلام
٨ ــ النمري (١) وجبور بن هشام القرشي (٢)
٩ ــ في المحرم سنة خمس وخمسين
١٠ ــ ومائة لا اله إلا الله الملك
١١ ــ الواحد القهار لا شريك له .

انتهى الرقيم . والارض لله يورثها من يشاء من عباده .

حيفا (فلسطين) عبدالله مخلص

المنجد وما فيه من الاوهام

١ــ في المنجد (قرع ظنابيب الامر اي سهله) .اه ولم يذكر هذه العبارة الاخرى وهي اشهر منها: قرع للامر ظنبوبه اي تهيأله .وقد جاء في الكامل للمبرد(يقال: قرع لذلك الامر ظنبوبه ،اذا جد فيه ولم يفتر، قال سلامة بن جندل:

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له «قرع الظنابيب»

ففي كلام المنجد تقصير. ولعل اصل اصطلاح السلف: ان الانسان اذا ضرب مقدم عظم ساقه تألم وهاج مثارا بسورة الغضب .

٢ــ وقال في (الجزارة): اطراف ما يجزر اعني اليدان والرجلان والرأس.اه. فأقول: انه رفع المفعول به والصواب ان يقول: (اعني اليدين والرجلين والرأس) .

الكاظمية مصطفى جواد

(١) علق كازمون غانو على هذه النسبة فقال قد تقرأ النمري والنمري ، ولكنه رجح النمري . قلنا وهذا الترجيح في محله لان النمر قبيلة من قبائل العرب .فالنسبة النهاصحيحة.

(٢) وعلق على هذه النسبة وقال قد تقرأ : القدسي والقريشي ولكنه رجح القرشي. قلنا وهذا ايضا في غاية الصواب لان النسبة الى القدس لم تكن معروفة في ذلك الوقت في حين انه كان يجوز ان يقال المقدسي ولكن الاخذ بالاصح في مصطلحات القوم اذ ذاك هو الاحسن والقرشي نسبة الى قريش وهي اشهر من ان تذكر .